في الدعوة والحركة

قبـــل الطوفـــــان

أبو أنس

▪ إلى أولئك الذين غرهم الحياة الدنيا بزخرفها فاختاروا طريق الضلال .

▪ إلى أولئك الذين نسوا أو تناسوا -في غمرة تكالبهم على المال والمنصب -كل قواعد السلوك واللياقة وغفلـــوا عن نواميس الكون التي لا تحابي أحداً ولا تتخلف عن التحقق أبدا .

▪ إلى أولئك الذين صار التصفيق لهم صنعة وأكل مال الأمة شغلهم الشاغل بدون وجه حق .

▪ إلى جموع الانكشارية الجديدة التي رأت في "السلطان" مصدر غنم لا ينضب ووسيلة سهلة للغنى لا تـــستدعي علماً ولا مهارة ولا حداقة خاصة وإن "السلطان" نفسه خلو من كل ذلك فوافق شنّ طبقه ..

▪ إلى أولئك الذين لم يتوغلوا بعيداً في طريق الشر والضلال .. حتى لا تضيع آخر فرصة لهم في الرجوع وقبل أن يبتلعهم المستنقع الآسن .

إلى كل هذه الفئات أكتب هذه السطور لعلها تقع في أذن صاغيّة فيعيها قلب لا تزال به ذرة من خير فيتـــدارك الأمر قبل الطوفان والله من وراء القصد :

خلق الله الإنسان وركّب فيه العقل ووهبه القدرة على التعلم والاستفادة و لم يتركه يواجه وحده معترك الحيـــاة فكانت رسل الله تتوالى موضحة المنهج السليم والطريق الصحيح للوصول إلى شاطئ السلامة وتحقيق العدل في الحياة الدنيا .

ومن الميزات الفريدة لدى الإنسان قدرته على الاستفادة -إن شاء- من الأحداث حوله سواء في استقراء التاريخ أو في الرصد المباشر للواقع المعاش وتقويم ذلك بمنهج الحق كما بينه الله فيخلص إلى تجنيب نفسه عقبـــات الطريـــق ويحدد مواقفه مما يجري حوله ولا يكون إمّعة يتبع الناس لا يدري أيساق إلى خير أم إلى شرّ .

من هنا كان العاقل من الناس هو من ينظر إلى الأمور بنظرة شمولية ثم يخلص بعد ذلك إلى التفاصيل ويكون نظره لا يخلو من البعد الزمني حتى لا يقع في دائرة ما يسمى بقصر النظر وهنا تكثر سقطات الكثيرين . هذه الفئات الـــتي

ذكرت هنا -وهذا النداء موجه إليها- وقعت كلها في هذا المزلق وإن اختلفت دوافع وأسباب ذلك . كلها تشترك في أنها نست أو تناست حقيقة أن لا شيء دائم في هذه الحياة .. إنّ الحركة هي طابع هذا الكون .. هـــذه حقيقـــة لا يماري فيها أحد خاصة في هذا الزمن ومن ثم يصبح من الغباء وقصر النظر -خاصة من قبل أولئك الذين أوتوا نـــصيباً من التعليم- أن تربط مصلحتها ومصيرها بمصير (السلطان) خاصة عندما يسقط هذا السلطان مقوّماً بأي مقيـــاس ! ويصبح على المدى الطويل معركة خاسرة ويصبح مصير انكشاريته مسألة زمن فقط لا بد وأن يمر في عالم ليس مـــن صفاته التوقيت حتى من أجل "السلطان" ! ولأنني بحس الدارس للتاريخ والمتأمل لمصائر الآخرين قـــديماً وفي الحاضـــر القريب فإنني أرى أن الوقت بدأ يضيق وأن هذه الفئات عليها أن تتدارك أمرها قبل فوات الأوان وإن تجارب الآخرين يجب أن تعلمهم أن "الأصنام" عندما تهوي فإنه تهوي معها القدرة على حماية الانكشارية وقطيع التنابلـــة وحـــاملي الشنط وشعراء "السلطان" .. إلى آخر القائمة .. كل هؤلاء سيواجهون مصيرهم فرادى في الغالب .. وإذا كان الملك السابق قد هيأ لسقوطه مُخرِجٌ بارعٌ سمحَ للشنط والعبيد وبعض التنابلة بتدبير أمورهم في سعة الوقت .. نقول بـــأن التاريخ ليس بالضرورة أن يعيد نفسه فقريباً فرّ الشاه دون بقية الشياه وسقط ساموزا وصمتت كل أسلحة أمريكـــا وكأنما علا الصدأ وعندما سقط ماء وذهب كل ذلك السحر حتى إنّ المرء ليعجب ترى أين ذهبت كل مطبوعـــات الكتاب الأحمر الذي كان يحمله جواز مرور داخل الصين !! وبعد فالتاريخ يعجّ بالعبر والعظات لمن أراد أن يعتبر .. ولعل بعض هؤلاء يتدارك نفسه قبل فوات الأوان والأمل أن لا يكون مصيره كمصير ابن نوح عندما أصرّ لحماقتـــه وقصر نظره ظاناً أن الجبل -كما بدا له حينها شاهقاً- سيعصمه من الماء وإذا بقي البعض ليكتشف ذلك عندما يأتي الطوفان فما قيمة العقول المركبة في الأجسام ؟؟